بسم الله الرحمن الرحيم

## تقديـم

هذا بحث كتبته تحية لذكرى أستاذى وشيخ المؤرخين العرب فى عصرنا محمد شفيق غربال ، أفسح الله له فى رحاب الجنة ، وأحسن جزاءه بقدر ما خدم التاريخ ونفع الناس بعلمه وجهده .

درست فى هذا البحث تقليد مشيخة العصر فى الأندلس منذ الفتح إلى نهاية عصر الموحدين ، أى إلى قرابة منتصف القرن الثالث عشر الميلادى . وقد كانت مشيخة العصر تقليداً جميلاً جرى عليه أهل العلم فى الأندلس ، فاختار أهل كل جيل من بينهم شيخاً لهم من أهل الصلاح والتصاون والخير والصدق فى طلب العلم ، والصبر على إسماعه إلى السن العالية ، واتخذوه إماماً لهم ، وشدوا إليه الرحال للأخذ عنه والسماع عليه. لم يحفزهم على ذلك الاختيار حافز من سلطان أو مطلب من مطالب الدنيا ، وإنما هو الإخلاص للعلم ؛ حباً فى الله تعالى ورسوله ودينه الحنيف .

وقد اجتهد الشيوخ فى الأندلس فى المحافظة على ذلك التقليد ، وحافظوا بذلك الاجتهاد على المثل الأعلى للمعلم والمتعلم كما صوره واحد منهم هو أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى فى بعض فصول كتابه المسمى « جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغى فى روايته وحمْلِه » .

وقد أوجزت الكلام فى هذا البحث واقتصرت فى ذكر مراجعه على ما مسّت إليه الحاجة ، وذلك حرصاً على الفكرة الرئيسية فيه من أن تضيع فى فيض التفاصيل وأثقال التعليقات .

رحم الله شيخنا محمد شفيق غربال ، وأعاننا على حمل أمانة العلم التى حملها عمره كله ، ووصل بجهده الصادق وخلقه الكريم تقليد السالفين من خدم العلم فى أجيالنا الماضية ، رحمهم الله أجمعين .

مدريد فى ١١ نوفمبر ١٩٦٥

د . حسين مؤنس

# تمهيـد

على طول تاريخ الأندلس كـان الجـانب الدينى من بناء الدولة والمجتمع من المميزات الظاهرة لذلك البلد الإسلامى . حقيقة أن العنصر الدينى جزء لا يتجزأ من حياة الناس فى كل بلد إسلامى آخر ، وأن الحاكمين والمحكومين كانوا يتحرّوْن جهد الطاقة أن تكون تصرفاتهم مطابقة لتعاليم الدين أو متمشية معه على الأقل ، وخاصة فى بلاد الخلافة العباسية خلال العصر الأول من تاريخها ، ولكن الجدير بالملاحظة فى الأندلس هو أن ذلك الالتزام الدينى لم يترك لضمير الحكام أو تقديرهم، وإنما أخذ شكلاً واقعيًا فى صورة علماء وفقهاء يقفون إلى جانب الحاكم ويشاركونه فى الحكم بصورة فعلية ، بحيث يبدو ـ أمام الناس على الأقل ـ أن الجانب الدينى من أعمال الدولة يشرف عليه علماء دين عارفون بشئون العقيدة ، وأنْ لا خوف ـ نتيجة لذلك ـ من انحراف الدولة عن قواعد الدين الحنيف .

ومهما كان رأى رجال العلم المتحققين فى رجال مثل عبد الملك بن حبيب ، وعيسى بن دينار ، ويحيى بن يحيى الليثى ـ فإن أمثال أولئك الرجال قاموا بوظيفتهم فى بنيان الدولة الأموية الأندلسية ، وأضفوا على تصرفاتها فى نظر الرعية تأييداً حقيقيًا كان له أبعد الأثر فى تثبيت دعائم أركانها ، وتمكينها من السيطرة الفعلية على بلادها ، وتمتع البيت الأموى الأندلسى بثقة الشعب الذى كان يحكمه ، وهى ثقة لم يظفر بمثلها الأمويون فى المشرق ، ولا العباسيون خلال عصرهم الذهبى .